

صُورَةُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ
فِي شِعْرِ نَاصِرِ خَسْرُو الْقَبَادِيَانِي

Portrayal of Fatima Al-Zahrah
Peace be upon her
in the Poetry
of Nasir Khasru Al-Qabadeiyani

أ.م.د. ناصِر قاسمي
أ.م.د. مجتبیٰ عمرانی بُور

جامعة طهران . فردیس فارابی

Asst. Prof. Dr. Nasar Qasami
Asst. Prof. Dr. Mujtaba Umrani Burr

Tahran University
Vardees Farabi

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

يقوم هذا البحث على التعبير عن شخصية السيدة الزهراء (عليها السلام) في شعر الشاعر الإيراني ناصر خسرو القبادياني مستفيداً من المنهج الوصفي التحليلي. فالشاعر القبادياني أحد الوجوه الأدبية المتألقة في الأدب الفارسي في القرن الخامس من الهجرة الذي اعتنق المذهب الشيعي بواسطة التغيرات التي طرأت على حياته وتعرفه الفاطميين في مصر أيضاً، إذ جعل شعره في خدمة أهل البيت (عليهم السلام) والدفاع عنهم.

يتبين من دراسة شعر هذا الشاعر أنه وإن كان شعره يكاد يكون خالياً من وجود امرأة وخصائصها، ولكن قد اختص السهم الأكبر بوجود السيدة الزهراء (عليها السلام) في شعره وخصائصها. وقد تعصب الشاعر لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) لا سيما السيدة الزهراء (عليها السلام) تعصباً شديداً وافتخر بمذهبه في شعره بالإشارة إلى فضائل السيدة الزهراء (عليها السلام) ومحاسنها وقد لعن غاصبي حق أهل البيت (عليهم السلام) ولا سيما غاصبي فدك، ويرى أن المنقذ الوحيد للبشر هو اتباع سبيلهم.

وقد أشار الشاعر في شعره إلى فضائل الزهراء (عليها السلام) العديدة؛ منها: ابنة النبي (صلى الله عليه وآله)، وسيدة نساء العالمين، ووارثة فدك، وزوج الإمام علي (عليه السلام)، وأم الحسين (عليه السلام)، ومنهل العلم ووارثة العلم النبوي، وشفاعتها في يوم القيامة.

ABSTRACT

The current study focuses upon the personality of Sayadat. Al-Zahrah (Peace be upon her) in the poetry of the Iranian poet, Nasir Khasru Al-Qabadeiyani, exploiting the analytic descriptive approach. Al-Qabadeiyani is one of the brilliant faces in the Persian literature in the fifth century Hegira believed in the Shiite denomination as for the conditions in his life and being in line with Al-Fatimains in Egypt . That is why he renders his poetry into the bud of Ahalalbayt and into shielding them.

When reconnoitering his poetry, there is no mention to a woman but he gives a great priority to Sayadat. Al-Zahrah in his poetry. He exerts himself into tackling Ahalalbayt in particular Al-Zahrah; he glorifies his denomination and refers to her traits and damns those who usurp the right of Ahalalbayt, Fadik usurpers. The real succor is to adhere their path. In his poetry he manipulates the virtues of Al-Zahrah; the daughter of the prophet, the lady of the world, Fadik heritage, the wife of Imam Ali (peace be upon him), the mother of Al-Hussein, the fount of science, the inheritor of the prophetic science and the intercessor in the doomsday.

... المقدمة ...

الأدب مرآة تمام ظاهر الإنسان، وترائي وتبين كل مظاهر حياته وتعكس أفكاره وعقائده. لهذا فإن كتابات الأدباء وآثارهم هي خير دليل على تفكيرهم ومنهجهم وإن كانت في بعض الأحيان لا توضح وتصور مسلكهم الحقيقي.

الأدب الفارسي من أغنى الآداب في العالم. فبعد تعرف الإيرانيين الإسلام، أصبح الشعر الفارسي ساحة ظهور الفكر والعقائد والتعاليم الإسلامية وتبينها عند الشعراء الإيرانيين. ناصر خسرو والقبادياني، هو أحد شعراء الفرس المشهورين الذين قالوا الشعر في خدمة تفكيرهم وزينوه بالدفاع عن عقائدهم. شعر ناصر خسرو ومفعم بالحكمة والدفاع عن المذهب الفاطمي والتشيع. ووجود شخصيات شيعية كالإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام ومدح هؤلاء العظماء والدفاع عن حقهما يتبلور في شتى صفحات ديوان شعره.

خلفية البحث

ولم يتطرق أحد إلى هذا الموضوع بشكل خاص وكان الموضوع بكرة إلى حد ما، فإن الباحث لم يجد من المصادر ما يسعفه في دراسته هذه إلا إذا استثنينا ما يأتي:

١. مقالة سيمای حضرت فاطمه عليها السلام در آينه شعر حكيم سنائي و ناصر خسرو (السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في مرآة شعر حكيم سنائي وناصر خسرو)، دكتور محمد رضا يوسفی، طليعة عشقي، شيعه شناسی، ربيع سنة ١٣٨٦، العام الخامس، رقم ١٧

٢. مقالة زن در آیینہ شعر فارسی ابومعین حمید الدین ناصر خسرو (المرأة في مرآة الشعر الفارسي - ابومعین حمیدالدین ناصر خسرو نموذجاً)، اکرم جودی نعمتی، مطالعات راهبردی زنان (کتاب زنان سابق)، رقم ٢٤، صیف سنة ١٣٨٣.

کلتا المقالین باللغة الفارسیة ولا یمکن استفادة القارئ العربی منهما فضلاً عن أن کلتیهما لم تتناول شخصية فاطمة الزهراء (ع) في شعر ناصر خسرو باستقلالية.

أسئلة البحث

هذا المقال في صدد اكتشاف أجوبة الأسئلة الآتية:

١. أين تكمن منزلة المرأة في شعر ناصر خسرو؟
 ٢. كيف عُرفت فاطمة الزهراء في شعر ناصر خسرو؟ بعبارة أخرى ما خصائص المرأة الإسلامية التي يتوجه إليها الشاعر الإيراني؟
- قد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي واقتضى البحث أن يقسّم على قسمين: القسم الأول تناول فيه الباحث حياة الشاعر الفارسي وشعره، وأما القسم الثاني فقد اختص بشخصية فاطمة الزهراء (ع) وانطباعها في مرآة شعر هذا الشاعر.

١. حياة ناصر خسرو^(١)

وُلِدَ أبو معین ناصر بن خسرو بن حارث القبادیانی البلخی، المعروف بـ (ناصر خسرو) بذی القعدة من عام ٣٩٤ هـ. ق في قرية قبادیان في بلخ وترعرع في أحضان

عائلة ثرية والتي كما يبدو كانت تشتغل بالأمور الحكومية والديوانية. هو يقول عن هذا الموضوع:

بگذشته زهجرت پس سیصد نود و چار
بنهاد مرا ————— ادر بر مرکز اغبر^(۲)

«بعد مضي ثلاث مئة وأربع وتسعين سنة ولدتني أُمي».

اشتغل ناصر خسرو، منذ بدء شبابه بتحصيل العلوم والفنون والأدب وكان متبحراً في جميع العلوم النقلية والعقلية آنذاك. فدرس الفلسفة والأديان، وتبحر حتى في العلوم الطبية، والنجوم، والموسيقى، والحساب أيضاً:

به هر نوعي که بشنیدم زدانش نشستم ————— در در او من مجاور
نماند از هیچگون دانش که من زان نکردم استفادت بیش و کمتر^(۳)

«بأي نوع من العلوم اذا سمعت ذهبت وجلست عند بابيه بحيث لم يبق علم إلا واستفدت منه إما قليلاً أو كثيراً».

ودخل البلاط الحكومي الغزنوي في شبابه ومن ثمّ البلاط السلجوقي وبقي في البلاط الحكومي حتى ٤٣ سنة من عمره واشتغل في الديوان. واعتزل هذا العمل عندما بلغ الثالثة والأربعين من عمره، فقد رأى حلماً غريباً أدّى إلى تغير أحواله وحدث انقلاب كبير في حياته. وقد عبّر في «سفرنامه» عن هذه الصحوة بقوله: «حتى إذا كانت ذات ليلة رأيت في المنام رجلاً يقول لي إلى متى تشرب هذا الشراب الذي يسلب لب الرجال خير لك أن تصحو» فأجبت «إن الحكماء لا يستطيعون شيئاً غير هذا يقلل هموم الدنيا». فأجاب «أن التسرية عن النفس لا تتأتى بفقد الشعور والعقل والحكيم لا يستطيع أن يقول إن الرجل المسلوب الفؤاد يصلح هادياً للناس

بل ينبغي عليه أن يبحث عما يزيد العقل والحكمة» قلت «وأنى لي هذا؟» قال «من جد وجد» ثم أشار إلى القبلة ولم يقل شيئاً. فلما صحوت من النوم كانت هذه الرؤيا ماثلة بأكملها أمامي وقد أثرت فيّ فقلت لنفسي صحوت من نوم البارحة وينبغي أن أصحو من نوم أربعين سنة خلّت وأمعت الفكر فوجدتني لن أسعد ما لم أعدل عن كل سلوكي.

وفي يوم الخميس من جمادى الآخر سنة ٤٣٧ متتصف شهر ذي من السنة الفارسية ٤١٠ من التقويم اليزدجدي اغتسلت وذهبت إلى الجامع فصليت ودعوت الله تبارك وتعالى أن يعينني على أداء الواجب وعلى ترك المنهيات والسيئات كما أمر الحق سبحانه تعالى.^(٤)

وعلى إثر ذلك شدّ رحال السفر إلى الديار المقدسة متوجهاً من بلدته صوب مهبط الوحي، ومهد الرسالة، مكة المكرمة. وذهب عن طريق «مرو» في سفرته الطويلة هذه التي استمرت سبع سنين زار مصر وتعرف الفاطميين المصريين وعقائدهم وضمن قبول تلك العقائد انتخب مبلغ الفاطميين في خراسان من لدن الحاكم الفاطمي المستنصر بالله أبي تميم معد بن علي ولقب بـ«الحجة» أو «حجت خراسان».

وعند عودته إلى بلخ بدأ يدعو إلى المذهب الإسماعيلي (الفاطمي) بشكل علني، ويناقش وينظر فيه العلماء والفقهاء في عصره. وبطبيعة الحال وبما أن السلاطين الإيرانيين كانوا سنة، فقد واجه ناصر خسرو احتجاجات واعتراضات المتعصبين، فعزم الأمراء السلجوقيون على إيذائه، واضطهاده حتى ضاق ذرعاً بذلك، وذاق منهم الأمرين. فاضطر إلى أن يتخفى، ويتنقل من مدينة إلى أخرى مواجهاً في ذلك الكثير من المصاعب، والآلام، حتى استقر به المقام أخيراً في قلعة يوغان بالقرب من

مدينة بدخشان، حيث اعتزل فيها الناس، حتى توفي سنة أربعمئة وواحد وثمانين من الهجرة.

عقيدة الشاعر

في البداية كان ناصر خسرو سنياً وبعد ثلاث وأربعين سنة ذهب إلى حج بيت الله في سفره الذي استمر سبع سنين كان منطلق تحول الفكر والخلق والتعامل. فصرم جبل الشراب واللهو وعزف عن سفر ناء وطويل. وفي سفره هذا مرّ من مصر وتعرف عقائد الفاطميين وأطلقوا عليه لقب الحجة حينها. وبعد رجوعه من سفره بدأ بتبليغ المذهب الإسماعيلي. فكان ناصر خسرو متعصبا كثيرا ومتشددا بالنسبة للمذهب الشيعي. وفي شتى مواضع ديوانه وطيّاته يلحظ عشقه وحبّه في تبعيته وتشيعه للإمام علي عليه السلام والإطاعة له ويعرف في ديوانه كل مذهب بصراحة مطلقة مثالا يشير في بيت إلى ولاية الامام علي عليه السلام ويمزجه بشجاعته التي تؤتي المؤمنين أملا ونورا ورحمة وتنزل على المنافقين والكافرين بالبؤس والنقمة ويقول:

من تـولّا به علي دارم كز تيغش بر منافق شب وبرشيعة نهار آيد^(٥)
«أنا أوالي عليا، أبا الحسنين الذي من سيفه للمنافق الويلات ولشيعته الفرج».

مؤلفاته

للحكيم ناصر خسرو مؤلفات ومصنفات عدة وللأسف بعض منها ضاعت ولم تصل إلينا في زمننا هذا كما يقول في هذا الموضوع:

منگر بدین ضعیف تنم زانکه در سخن
زین چرخ پرستاره فزون است اثر مرا^(٦)

«لا تترنوا إلى ضعف جوارحي فإن سنان لساني جوارح وفي سماء الكلام المزدهر
بالنجوم تلمح آثارِي».

ومن جملة كتبه ومؤلفاته:

١. ديوان أشعار بالفارسية و طبعت مرات في طهران
٢. ديوان أشعار بالعربية لم تصل إلينا. وهو يقول في ديوانه:
أين فخر بس مراكه باهر دو زبان حكمت همی مرتب وديوان كنم^(٧)
«يكفيني فخرا أني قلت الحكمة في قالب الشعر باللغتين الفارسية والعربية».
وقال في موضع آخر:
- بخوان هر دو ديوان من تابيني يكي گشته با عنصري بحتری را^(٨)
«اقرأ ديواني كليهما بالعربية والفارسية حتى ترى أنني في الفارسية على رتبة
عنصري من فحول الشعراء الإيرانيين وأشعاري بالعربية تضاهي البحري».
٣. جامع الحكمتين - رسالة نثرية باللغة الدرية في تبين العقائد الإسماعيلية.
٤. خوان الإخوان - كتاب نثري باللغة الدرية يتحدث عن الأخلاق والحكمة
والموعظة.
٥. زاد المسافرين - كتاب في حكمة الله باللغة الدرية.
٦. گشايش ورهايش (الفرج والخلاص) - رسالة بالنثر الدري تشمل ثلاثين
سؤالاً مع أجوبتها.
٧. وجه دين (وجه الدين) - كتاب بالنثر الدري أيضاً يدور موضوعه حول
المسائل الكلامية وباطن العبادات وأحكام الشريعة.
٨. دليل المتحرمين - مفقود (في بيان الأديان، ذكره أبو المعالي).

٩. بستان العقول - مفقود.

١٠. سفرنامه - هذا الكتاب يشتمل على ما شاهده في سبع سنين ويحسب أحد الكتب الجغرافية التاريخية. وناصر خسرو هو أول من كتب خط سير حجه. وكان ابن جبير من غرناطة اسبانيا ثاني من كتب (بعد مئة وخمسة وثلاثين بعد ناصر خسرو) والكتاب الثالث هو ابن بطوطة المراكشي الذي كتب بمئتين وست وثلاثين سنة بعد ناصر خسرو. يذكر أن ماركو بولوى المشهور قبل مئتين وأربع وعشرين سنة كتب خط سيره ولكن ليست بمستوى ما كتبه ناصر خسرو فليست فيها تلك الدقة والتوضيح ويوجد في خط سير الشاعر ناصر خسرو وبلغة أخرى كانت طريق بيانه بسيطة جدا. وبعد هؤلاء الأشخاص الثلاثة، كان هناك كثيرون مسلمون وغير مسلمين ممن كتبوا خط سيرهم في الحج، لكن ناصر خسرو ليس أول من كان في هذا الخط سباقا لودعيا بل خط سيره وسفره كان غير منقوص وكاملا تاما شافيا كافيا. ترجم هذا الكتاب على يد يحيى الخشاب بالعربية و طبع في القاهرة.

١١. سعادت نامه (رسالة السعادة) - رسالة منظومة تحتوي على ثلاث مئة بيت.

١٢. روشنای نامه (رسالة النور) - أيضا رسالة منظومة. (٩)

وكثير من الرسائل والكتب غير التي ذكرت منسوبة لناصر خسرو ولكن أكثر المستشرقين الذين حققوا ودرسوا وبحثوا آثاره شككوا في وجود هذه الرسائل والكتب.

عنوانات هذه الكتب وأسمائها هي

(أكسير أعظم) في المنطق والفلسفة و(قانون أعظم) في العلوم الغربية، و(المستوفى) في الفقه، و(دستور أعظم) في تفسير القرآن، و(رسالة در علم يونان) كتاب في السحر، (كنز الحقائق) رسالة معروفة بخط السير للشرق ورسالة مسماة بـ (سر الأسرار). إضافة إلى هذه الكتب والرسائل هناك أيضا كتب أخرى نسبت لناصر خسرو من جملتها: رسالة الندامة إلى زاد القيامة وغيرها.

شعر ناصر خسرو

كان ناصر خسرو يقول الشعر باللغتين: الفارسية والعربية ولكن ومع الأسف الشديد لم نحصل على ديوانه باللغة العربية وكما يذكر بأن كتاباته العربية ضاعت ولم يبق سوى الفارسية. وقد استعمل ناصر خسرو كلمات وتراكيب بعينها كثير منها مأخوذ من القرآن والحديث والتراث العربي^(١٠)، وكان استلهامه من هذه المصادر مميّزاً لأنه وضع شعره في خدمة التبليغ الديني وجعله أداة لترويج معتقداته، وجعله قالباً للوعظ والحكمة والنصيحة والأخلاق، ووسيلة لجذب الناس إلى الطهارة والنقاء وتجنبهم الضلال والرجس، وأولى أهمية خاصة لتأويل الآيات لأنه كان من دعاة الإسماعيلية الذين يعتقدون أن الإمام هو من كان واقفاً على هذا التأويل^(١١). عدّ ناصر خسرو أحد شعراء الأسلوب الخراساني واحتلّ منزلة كبرى في الأدب الفارسي، وكان يطالب بمجتمع مثالي سليم بعيد عن مفاصد الأخلاق وقتل البشر والسرقة والخيانة والرشوة والتملق والنفاق، ويرى أن مجتمعاً كهذا لا يقوم إلا في ظلّ الدين، ومن هنا امتاز أسلوبه الشعري بالعقلانية وكانت نظرته إلى الغزل والتشبيب سلبية، وكان يضيق بأسلوب الشعراء التقليدي الذي يبدأ القصائد بالتشبيب مع أنه

كان في بداياته من أهل الشيب ووصف المعشوق^(١٢). وكان المدح كذباً ويضيق بمن يمدح الأمراء والسلاطين من الشعراء.^(١٣) وقد استعمل ناصر خسرو قصائده لخدمة الفكر وأعطاهما لوناً فلسفياً، ويتضح انضباطه الفكري وأسلوبه الواضح، ويدلّ التأمل في آثاره على أن أغراض شعره تنحصر في: مدح العلم والعقل، وذمّ الجهل وعدم المعرفة، وتكريم الأخلاق والحرية، وذمّ النفاق والتملق، والاعتبار بالطبيعة، وبيان أفكاره ومعتقداته الدينيّة، والترغيب بالزهد وذمّ الدنيا.^(١٤)

وفي ديوانه لم يمدح سوى كبار رجال الدين والعظماء، والخلفاء الفاطميين، وتطرق قليلاً إلى وصف الطبيعة. فمجمل ما قاله هو موعظة وتبيان للخير والتنوير. وبعض الأحيان نرى أنه تطرق إلى بعض علوم زمانه ك (الفلسفة، الطب، النجوم وبدائع الخلقة) ومزجها بقصائده كي يجعل القارئ يتفكر فهو كان يجب كل شعر مرصع بشئ من الحكمة الذي يدع القارئ يبحر ويتأمل في الله. فكانت مدائحه دينية في مجملها؛ مستوحاة من إخلاصه لآل بيت النبي، وتشير هنز بيرغر «فقد ميّز هو نفسه بين مدح شخص يستحق المديح، وبين مجرد التملق لشخص يُمسك بيديه زمام كيس نقوده».^(١٥)

وكان ناصر خسرو لا يقول الشعر لكل من هب ودب ولا يبخسه حقه، فكلامه كالدرّ، إذ يقول بفخر وغرور:

من آنم كه در پای خوكان نریزم مر این قیمتی درّ لفظ دری را^(١٦)

«أنا الذي لا أقول الشعر لأهل الرذائل ولا أبخسه حقه، فشعري الدرّي كالدرّ ثمين».

٢. فاطمة الزهراء (عليها السلام) في شعر ناصر خسرو

وإن كان ناصر خسرو قليلا ما ذكر المرأة بأشعاره لكن هذا لا يُفسر بعدم حضور السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في شعره.

ناصر خسرو في ديوانه أشار وتطرق إلى بعض النساء كـ (فاطمة الزهراء، عائشة، مريم، زليخا، منيجه ويلي)^(١٧) ولكن من بين تلك النساء كانت فاطمة الزهراء عليها السلام هي القمر المنير والكوكب اللامع في ديوانه. وتطرق الشاعر إلى جوانب وخصائص مختلفة من شخصيتها؛ وهذه الخصائص هي مشتركة عموماً عند كثير من المذاهب الإسلامية فهدف الشاعر هو إثبات حق هذه المرأة العظيمة وأحقية مذهبه. ومن الخصائص التي ذكرها في شعره:

فاطمة الزهراء (عليها السلام) وفاطميو مصر

الفاطميون في مصر يعتقدون بأن سلالتهم ترجع إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ولكنَّ مخالفهم لا يقبلون هذا الانتساب ويقولون إنهم (عبيديون) وينتمون لعبيد الله المهدي مؤسس السلالة الفاطمية. وبعض ينسبونهم لعبد الله بن ميمون القداح الذي كان أول المدافعين عن المذهب الإسماعيلي.

وكانت ذروة الخلافة الفاطمية في عصر الخليفة الثامن الفاطمي، المستنصر الذي أطلق على ناصر خسرو لقب (حجة خراسان) ومن أجل تبليغ مذهبه الإسماعيلي عزف نحو وطنه. فبادر ناصر خسرو في بداية عهد السلاجقة، إلى ترويج الفكرة الإسماعيلية، وبما أنه كان ملماً بالأفكار الدينية والفلسفية التي كان يحملها كبار علماء الإسماعيلية ودعاتهم ممن سبقوه، كلفه المستنصر بالله، حاكم الفاطميين الدعوة إلى هذه الأفكار في جزيرة خراسان بوصفه مبلّغاً. وتعدُّ خراسان إحدى الجزر الإثنيتي

عشرة التي اختارتها الفرقة الإسماعيلية لنشر أفكارها فيها.^(١٨) يشير ناصر خسرو في أشعاره في أماكن عدة الى أمومة السيدة الزهراء (سلام الله عليها) بالنسبة للإسماعيليين المصريين ويقول:

من همي نازش به آل حيدر وزهرا كنتموهمي نازش به سند و هند بد گوهر كني
گر بيند چشم تو فرزند زهرا را به مصر آفرين از جانت بر فرزند و بر مادر كني^(١٩)
«أنا أفتخر واعتز بأهل البيت عليهم السلام والسيدة الزهراء عليها السلام وأنت تباهي وتفتخر بهند
وسند أمهاتك. فلو أن عينا لك أبصرت في مصر ابن فاطمة لقلت أنعم وأكرم به أمًّا
وابنًا (أي السيدة الزهراء عليها السلام وخليفة الفاطميين)».

وفي مكان آخر يلمح في شعره إلى التعاليم والنسبة التي ذكرت وبين قبول هذه العقيدة من الخليفة الفاطمي ويقول:

ش—نودم ز میراث دار محمد سخن های چون انگین محمد
ز فرزند زهرا و حیدر گرفتم من این سیرت راستین محمد^(٢٠)
«هناك الدرر والحكمة في مهبط الوحي ومنزل القرآن والكلم (بلاد الفاطميين)،
دار محمد المصطفى أحاديث كالغسل المصفي والنور الساطع أخذتها عبر الحبل
المستقيم والصراط القويم علي وفاطمة وأبنائهما».

وقد استعمل ناصر خسرو الطبيعة خدمة لعقيدته وأشار إلى عظمة الفاطميين واقتدارهم آنذاك وقال:

معزول گشت زاغ چ—نین زیرا چون دشمن نبیره زهرا شد
خورشید فاطمی شد و باقوت برگشت و از نشیب به بالا شد^(٢١)

«هل تعرف لماذا أصبح الغراب منزلاً وغير محبذ بين الناس، لأنه كان معارضاً وعدواً لأولاد السيدة الزهراء وأحفادها ﷺ، ومن لم يك في قلبه ودّ لفاطمة ﷺ سيعزل ويطرّد ولأن الشمس فاطمية أشرقت من جديد».

ويلحظ من قوله أن أولاد فاطمة ﷺ هم الحكام الفاطميون في مصر الذين كان يراهم من سلالة الإمام جعفر الصادق ع و من ثمّ أولاد فاطمة الزهراء ﷺ. هذه العقيدة كانت تأتي بالقدسية للفاطميين اذ كان أتباعهم مثل ناصر خسرو يودونهم ودّاً شديداً، وكانوا يرون حبهم مقارناً للجزاء والثواب يوم الحشر والخلاص. «چون به حب آل زهرا روی شستی، روز حشر نشنود گوشت ز رضوان جز سلام و مرحبا»^(٢٢) «إذا كنت محبا لآل فاطمة فلن تسمع أذنكفي الجنة إلا التحية والسلام».

علم السيدة فاطمة الزهراء ﷺ

كان ناصر خسرو يعتقد بأنه يجب أن يؤخذ العلم من مظانه ويُنْتَهَل من مناهله وأنّ على المرء أن يجتنب القيل والقال، من ثم يرى بأن عين العلم الحقيقي الربّاني هو نبي الرحمة محمد الأمين ﷺ الذي أودع علمه أسباطه وأهل بيته ﷺ ويوضح بأنهم ليسوا إلا فاطمة وبعليها وبنيتها:

علم را از جایگاه او بجوی سربتاب از عمرو و زید و قال و قال
قال اول جز پیمبر کس نگفت وانگهی زی آل او آمد مقال
جز که زهرا و علی و اولادشان مر رسول مصطفی را کیست آل^(٣٢)

«اطلب العلم من محلّه ودع عنك القيل والقال فمصدر العلم هو النبي ﷺ وبعده آله: علي وفاطمة وأبناءؤهما ﷺ».

وفي أبيات أخرى يعرف الشاعر النبي ﷺ شجرة الحكمة وأهل بيته ﷺ
أشجار الحكمة المثمرة، ثم يتكلم الشاعر على أولاد علي ﷺ بأنهم أولاد النبي ﷺ:

شجر حکمت پیغمبر ما بود و برو
هریک از عترت او نیز درختی ببرند
پسران علی امروز مرو را به سزا
پسرانند چو مر دختر او را پسرند
پسران علی آنها که امامان حقند
به جلالت به جهان در چو پدر مشتهرند^(۲۴)

«النبي ﷺ هو شجرة الحكمة وأهل بيته هم أشجار الحكمة فأولاد علي ﷺ في
الحقيقة أولاد النبي ﷺ لأنهم من ولد بنت النبي ﷺ».

ويشير الشاعر في بيت آخر إلى أن السيدة الزهراء هي خزينة الأسرار للعلم
الإلهي والنبوي قائلاً:

دخت ظهور غیب احد احمد ناموس حق وصندوق اسرارش^(۲۵)
«إن السيدة الزهراء هي تحمل أسرار النبوة وأسرار الكون ومافيه».

فدك

فدك قرية في الحجاز وتبعد عن المدينة ما يقارب مئة وستين كيلومترا وكان
فيها من البساتين والعيون والأنهار والنخيل فكانت أرضها خصبة لذا كانت
إحدى الأراضي الغنية التي يعتمد عليها في محاصيلها في الحجاز. فدك قرية لخير
ونظراً لموقعها الاستراتيجي كانت ركيزة عند اليهوديين في الحجاز. وبعد ان هزم

الجيش الإسلامي اليهود في خير أصبحت فذك للمسلمين. وبعد نزول الآية (وَأْتِ
ذَالْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) أهدى النبي ﷺ فدا ابنته وهذا القول موجود في شتى كتب التفسير
والحديث والكلام واللغة. لكن بعد استشهاد الرسول ﷺ والتحاقه بالرفيق الرفيع
الأعلى غصبت فذك من السيدة فاطمة الزهراء (ع).^(٢٦)

وقد تطرق ناصر خسرو في أبيات إلى هذا الموضوع وأشار إليه ووصفها بالشرك ونمط من الوثنية:

بتگر بتی تراشد و او را همی پرستد
زو نیست رنج کس رانه زان خدای سنگین
تو چون بتی گزیدی کز رنج و شر آن بت
برکنده گشت و کشته یکرویه آل یاسین؟
آن کز بت تو آمد بر عترت پیمبر
از تیغ حیدر آمد بر اهل بدر و صفین
لعنت کنم بر آن بت کز امت محمد
او بود جاهلان را ز اول بت نخستین
لعنت کنم بر آن بت کز فاطمه فدک را
بستد به قهر تا شد رنجور و خوار و غمگین
لعنت کنم بر آن بت کو کرد و شیعت او
حلق حسین تشنه در خون خضاب و رنگین
پیش تواند حاضر اهل جفا و لعنت
لعنت چرافرستی خبره به چین و ماچین؟ (۲۷)

«يبين أن هذا النوع من الوثنية أتى بعد وفاة رسول الله وفي بيان جميل له يوضح بأن هذه الأصنام أضرّت بأهل البيت (عليه السلام)، كما كان سيفاً أضر بأهل بدر وصفين. من ثم يلعن هذه الأصنام والأوثان التي غصبت فاطمة حقها وتسببت في وجدها

و غضبها و غضب النبي ﷺ و بالتبعية بسخط الرحمن. و يجمع بين الوثن الذي قتل الحسين ﷺ بكرلاء و بين من اغتصبوا حق فاطمة الزهراء ﷺ، ولا يميز بينهما بشئ و يحتمل أنه يريد أن يقول بأن كل ما وقع في كربلاء كان سببه الرئيس هو غصب فذك».

سيدة نساء العالمين

أحد ألقاب فاطمة الزهراء ﷺ هو «سيدة نساء العالمين». وأشار ناصر خسرو في ديوانه إلى هذا اللقب و باستفهام استنكارى يتساءل هل كان هناك كفء لفاطمة الزهراء ﷺ غير علي بن أبي طالب ﷺ و يبين أن الحسين السبطين هما ودائع الرسول ﷺ و يقول:

گزين و بهين زنان جهان کجا بود جز در کنار علی
حسين و حسن يادگار رسول نبودند جز يادگار علی^(٢٨)

«فاطمة الزهراء هي أشرف و أزكى سيدات نساء العالم و بنوها هم البقية و ودائع الرسول على الأرض».

تبع الإمام علي ﷺ

ناصر خسرو في بيان فضائل الإمام علي ﷺ علاوة على شجاعته و فضائله اللامعة في سماء الفضل ذكر استحقاقه و كفاءته في تبع السيدة فاطمة الزهراء ﷺ و لا يرى أحدا يضاهي منزلة زوج الإمام علي ﷺ و ابنيها حيث يقول: «ذوالفقار ايزد سوى كه فرستاد به بدر زن و فرزند كه را بود همچو زهرا و شبير»^(٢٩). «من أتى بذی الفقار له جبریل في بدر؟ و من له ولد و زوجة كفاطمة الزهراء و الحسين؟».

وتجدر الإشارة إلى أن غرض الشاعر من ذكر زوجة الإمام علي عليه السلام هو ذكر أحقية علي عليه السلام بالخلافة وذلك أنه كان عالماً و شجاعاً وأقرب من النبي صلى الله عليه وآله بين الناس. وفي مكان آخر أشار هذا الشاعر إلى علاقة السيدة الزهراء بعلي عليه السلام وقال إن أفضل نساء العالم هي زوجة علي عليه السلام وأم الحسين وأن شجرة النبوة تستمر في أولاد الإمام علي عليه السلام والسيدة الزهراء:

گزين و بهين زنان جهان کجا بود جز در کنار علی
حسین و حسن یادگار رسول نبودند جز یادگار علی^(۳۰)

«السيدة الزهراء هي أفضل نساء العالم وأن الحسن والحسين هما ذرية النبي صلى الله عليه وآله واستمرار النبوة».

ويذكر في بيت آخر أن عليا عليه السلام هو كفء السيدة الزهراء وإن لم يكن علي لما كان احد كفء وزوجا للسيدة الزهراء عليه السلام:

کفوی نداشت حضرت صدیقه گر می نبود حیدر کرارش^(۳۱)

«لو لا علي عليه السلام لم يكن لها كفوء».

وأشار الشاعر في قصيدة مدح فيها النبي صلى الله عليه وآله إلى صلة القرابة بين النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، ويذكر أنه قرين النبي صلى الله عليه وآله ويستحق بالزواج من قرّة عين النبي صلى الله عليه وآله:

قرین محمد که بود؟ آنکه جفتش نبودی مگر حور عین محمد
از این حور عین و قرین گشت پیدا حسین و حسن سین و شین محمد^(۳۲)

«من كان قريناً للنبي صلى الله عليه وآله؟ هو الذي كان زوجاً للسيدة الزهراء عليه السلام، ونتاج هذا الزواج هو الحسن والحسين عليهما السلام أحفاد النبي صلى الله عليه وآله».

محبة السيدة فاطمة الزهراء (ع)

إن ناصر خسرو محبّ أهل البيت وديوانه الشعري حافل بهذه المحبة والإخلاص، ويذكر أن حبّ أهل بيت النبي (ص) والسيدة الزهراء (ع) سبب خلاص العذاب الأخروي ودخول الجنة دون حساب. فعن رسول الله (ص): ((من أراد دخول الجنة بغير حساب فليحب أهل بيتي)).^(٣٣) «چون به حب آل زهرا روى شستى، روز حشر نشنود گوشت ز رضوان جز سلام و مرحبا»^(٣٤) «إذا كنت محبا لآل فاطمة فلن تسمع أذن كفي الجنة إلا التحية والسلام». وقد تجاوز الشاعر عن هذا الحد ونسب هذا الحبّ إلى غير البشر مؤكداً أن الخصومة مع أولاد السيدة الزهراء سبب الشقاوة والخذلان في الدنيا والآخرة:

معزول گشت زاغ چنين زیرا چون دشمن نبیره زهرا شد^(٣٥)

«هل تعرف لماذا أصبح الغراب منعزلاً وغير محبذ بين الناس، لأنه كان معارضاً وعدواً لأولاد السيدة الزهراء وأحفادها».

شفاعة السيدة فاطمة الزهراء (ع) يوم القيامة

ناصر خسرو عندما يرسم للمتلقي كيفية الجزاء في يوم القيامة وتجسيد الأعمال وبالتلميح للموت ونكباته والخوف والوحشة من ذلك اليوم العظيم الهائل ويشد الأمل بشفاعة السيدة فاطمة الزهراء (ع) ويعلق أنامله بأطراف ثيابها تشفعا ورجاء، ويقول:

هم ظالم و هم عادل بى هيچ محابا	آن روز بيا بند همه خلق مكافات
پيش شهدا دست من و دامن زهرا	آن روز در آن هول و فزع بر سر آن جمع
بدهد به تمام ايزد دادار تعالى ^(٣٦)	تا داد من از دشمن اولاد پيمبر

«في ذلك اليوم يكافأ الورى جميعا من ظالم وعادل دون محابة أو تفريق ومن شدة الأحداث والأحوال يُسْتَشْفَعُ بالشهداء وبأهل البيت (عليهم السلام) حتى يأخذ الله تعالى الحق من أعداء النبي وآله منهم غيظا من شفاعة أهل البيت (عليهم السلام) لمحبيهم». وأوصى الشاعر في أبيات أخرى باتباع أهل البيت وأولاد السيدة الزهراء، الذين هم أولاد النبي (صلى الله عليه وآله) وشفعاء محبيهم في الآخرة:

پسران على آنها كه امامان حقند
به جلالت به جهان در چو پدر مشتهرند
سپس آن پسران رو پسرا زانكه تو را
پسران على و فاطمه زآتش سپرند
سپری كرد توانند تو را زآتش تيز
چون همی زیر قدم گردن كيوان سپرند^(۳۷)

«عليكم بالتبعية والتشييع والإطاعة لأوامر أهل البيت (عليهم السلام) ونواهيهم، فإن النجاة ليست إلا بهم فهم الجوشن الكبير والدرع والحصن الحصين من العذاب الأليم».

... الخاتمة ...

فمن خلال مسيرة البحث، أمكننا أن نصل إلى جملة من النتائج، وهي على النحو الآتي:

١. كان ناصر خسرو سنيًا في الأوائل من عمره ثم قام بالسفر إلى حج بيت الله، فكان سفره هذا منطلق تحوله الفكري والأخلاقي والتعامل. فترك الشراب واللهو ثم تعرف عقائد الفاطميين وبدأ بتبليغ المذهب الإسماعيلي.

٢. لم يمدح الشاعر سوى كبار رجال الدين والعظماء، والخلفاء الفاطميين، فكانت مدائحه دينية في مجملها؛ مستوحاة من إخلاصه لآل بيت النبي ﷺ.

٣. وأشار الشاعر في شعره إلى جوانب وخصائص مختلفة من شخصية السيدة الزهراء (عليها السلام)؛ وكان الهدف من ذلك إثبات حق هذه المرأة العظيمة وأحقية مذهبه.

٤. ومن الخصائص التي ذكرها الشاعر هي؛ علم السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ومسألة فدك، وسيدة نساء العالمين، وتبعل الإمام علي (عليه السلام)، ومحبة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وشفاعة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم القيامة.

١. ديوان، ناصر خسرو، تصحيح مجتبیٰ مینوی و مهدی محقق، انتشارات دانشگاه تهران، طهران، چاپ اول، ۱۳۵۳ ش، ص ۵۰۷

٢. ديوان، ص ۵۳۸

٣. ديوان، ص ۱۶۲

٤. ديوان، ص ١٢
٥. ديوان، ص ٣٧٢
٦. ديوان، ص ١٤٤
٧. ديوان، ص ١٤٣
٨. ديوان، ص ١٣٠
٩. ديوان، ص ٣٣٩
١٠. ديوان، ص ٧٣-٧٤
١١. ديوان، ص ٦٦
١٢. ديوان، ص ٢٣٦
١٣. ديوان، ص ١٨٦
١٤. ديوان، ص ١٨٦
١٥. ديوان أشعار، ص ٢٠٩
١٦. ديوان، ص ١٢٩
١٧. ديوان، ص ٣٣٩
١٨. ديوان، ص ٦
١٩. ديوان، ص ٦٦

المصادر والمراجع

١. أثر اللغة العربية وأدبها في شعر ناصر خسرو، ندى حسون، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد ٤٣، ٢٠١٠م، ص ١١٣-١٧٤.
٢. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٣٧١ ق.
٣. سفرنامه، ناصر خسرو علوي، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣م.
٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ ق.
٥. فتوح البلدان، أحمد بن جابر البلاذري، تحقيق عبدالله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧ ق.
٦. فذك في التاريخ، محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت، ١٤١٠ ق.
٧. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ ق.
٨. بحار الانوار، علامه محمد باقر مجلسي، تحقيق وتعليق: سيد جواد علوي، ناشر: دار الكتب اسلامية، تهران ١٣٦٢ ق.
٩. تاريخ ادبيات در ايران، ذبيح الله صفاء، انتشارات فردوس، طهران، چاپ دهم، ١٣٦٩ ش.
١٠. تاريخ ادبيات ايران (از فردوسی تا سعدی) ادوارد براون، ترجمه: فتح الله مجتبایی، انتشارات مرواريد، طهران، ط ٥٥، ١٣٧٣ ش.
١١. تاريخ نظم و نثر در ايران، سعيد نفيسي، فروغی، طهران، ١٣٤٤ ش.
١٢. تحليل أشعار ناصر خسرو، مهدي محقق، انتشارات دانشگاه تهران، تهران، چاپ دوم، ١٣٤٩ ش.
١٣. ديوان اشعار، تصحيح سيد نصرالله تقوی، گلشن، طهران، ١٣٤٨ ش.
١٤. ديوان، ناصر خسرو، تصحيح مجتبى مينوى و مهدي محقق، انتشارات دانشگاه تهران، طهران، چاپ اول، ١٣٥٣ ش.
١٥. «زن در آينه شعر فارسي / ابومعین حميدالدين ناصر خسرو»، اکرم جودي نعمتي، مطالعات راهبردي زنان (کتاب زنان سابق)، رقم ٢٤، صيف سنة ١٣٨٣.
١٦. سبک خراساني در شعر فارسي، محمد جعفر محجوب، انتشارات فردوس، تهران ١٣٤٥ ش.
١٧. سبک شناسی، سيروس شميسا، انتشارات فردوس، تهران، ١٣٦٧ ش.
١٨. سخن سخنوران، بديع الزمان فروزانفر، انتشارات خوارزمي، تهران، ١٣٥٠ ش.
١٩. ناصر خسرو، ياقوت بدخشان، أليس هانزبرجر، مترجم: ف. بدري، فرزانه، تهران، ٢٠٠١م.

